الإهــداء

إلى رحابك دبجّنا

تكاد تُحرق من أشواقنا

يا قارئ الحرف

وقبلها قد بعثنا الدمع

شوقاً إليك فهل

مهراً وإلا بعثنا القلب

فغيرنا بمداد الحبر

ومن دمانا كتبنا الشعر

عنــوان الـمؤلـــف

أنا الحجاز أنا نجد أنا

أنا الجنوب بها دمعي

وفي ربى مكة تأريخ

على ثراها بنينا العالم

في طيبة المصطفى

هناك ينسج تاريخي

بالشام أهلي وبغداد

بالرقمتين وبالفسطاط

النيل مائي ومن عمان

وفي الجزائر إخواني

والوحي مدرستي

بدايتي وبه قد شع قرآني

وثيقتي كتبت في

آياتاها فاقرؤوا يا قوم

فأينما ذكر اسم الله

عددت ذاك الحمى من

العنــوان

حـي الرحمانية – ص . ب 379 – الرمز البريدي 11321

تليفـون : 4195398 فاكس : 4196663

جـوال : 055222000

مـقـدمـــة المقـامَــات

﴿ بِاِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾

الحمد لله وليّ النعمة ، دافع النقمة ، ما غرّد طائر بنغمة ، وهبّ صبح بنسمة، وتلألأت على ثغرٍ بسمة ، والصلاة والسلام على من زيّن ببيانه الكلام ، وأذهل بفصاحته الأنام، وطرق بوعظه الأيام ، سلالة النجب ، وصفوة العرب، أجلّ من خطب ، صاحب الحسب والنسب ، محطم الأصنام والنصب ، وعلى آله والأصحاب ، ما لمع سراب ، وهمع سحاب ، وقرئ كتاب ، وبعد :

فقد أشار عليّ الشيخ الأريب ، والشاعر الأديب ، الدكتور / أحمد بن علي القرني الأستاذ بالجامعة الإسلامية بكتابة مقامات ، هي على الفضل علامات ، فقلت له صاحب ذلك قدْ مات ، ولم يبق إلا حاسد وشمّات .

فذكرني بشريط مصارع العشّاق ، وقال : كلّ لمثله مشتاق ، فإنه للقلوب ترياق ، وليس لك عذر ولو التفت الساق بالساق ، وأحضر لي من حرصه الدفاتر ، والخاطر قبل مجيئه فاتر ، فأجّلت تفكيري ، وقد اشتعل في ليل رأسي صبح نذيري ، وقد سبقني لهذا الهمداني والحريري ، ولكن على الله المعوّل ، وكما قال الأول :

ولو قبل مبكاها بكيت صـــــبابة	**لكنتُ شفيت النفس قبل التنـــــــدمِ**
ولكن بكت قبلي	**بكاها مكـــان الفضلَ**

وقد قلت لصــاحبنا لا جــرم أنك استســمنت ذا ورم ، وهذه سنة أهل الكرم ، والخاطر شذر مــذر ، من شــجون لا تبقي ولا تذر ، ولا أقول بعـدت علينا الشـقة ، ولكن كما قـال أبو الطيب : لـولا المشـقة ، واعـرف أن من البشر ، كشـــجرة العشر ، أعـــدى من الســـوس ، وأشـــأم من

البسـوس ، يـأتي على غـرة ، ويبحث عن العـثرة ، ويقص الجُرّة ، ولو اعتذرت لنا عنده سبعين مرة .

فـأقول للمـادحين ، كونـوا ناصـحين ، وكمـا قيل فعين الرضا ، والمحب يمشي على جمر الغضا ، وأقـــــــول للقادحين ، كونوا مـازحين ، وتـذكروا : وإذا أتتك مـذمتي ، واجعلوا الخطأ في ذمـتي ، فقد شـابت لمـتي ، فـإن عـثر جـواد بيـاني ، وتلعثم لسـاني ، فـالعيب من زمـاني ، فما أدركت حسّـان ، وما صـاحبت سـحبان ، وما دخلت على النعمـان ، وما لقيت صُنّاع الألفـاظ ، في سـوق عكـاظ . ولكنـــني مع أقـــوام ، على الأدب أيتـــام ، كلما لمع فيهم متكلم وظهر ، وقـــال إن الله مبتليكم من البيـــان بنهر ، قـالوا إنما يعلمه بشر ، ولـولا سـواه ما اشـتهر ، فيقـول الحـال : لكل عين قـذى ، ولن يضـروكم إلا أذى ، فجِـدّوا كما جَدّوا ، أو سُدوا المكان الذي سَدوا . فكم نال الحساد صـــــاحب الأدب ، وأنه ليس له في البلاغة نسب ، وما له في الفصاحة حسب ، وجاءوا على قميصه بدم كذب .

وكم انبعث من أهل البلادة أشقاها ، فصاح بهم رسول البيـان ناقة الله وسـقياها . وعسى عصـا موسى البيـان ، تكسر رأس فرعون الطغيان .

وإذا ألقى قميص يوسف الملاحة ، على بصر يعقـــوب الفصـاحة ، نـادى لسـان حـال المتكلمين : ادخلـوا مصر الإبـداع آمـنين . وقد طـاولت بهـذه المقامـات قامـات ، ولامست بها هامـات ، وكلما قـابلني هامّـات وطامّـات ، قلت : أعوذ بكلمات الله التامّات .

وسوف يقرؤها صاحب ورع بارد ، وذهن جامد فيتأفف ، ويتأسف ، ويقول الرجل تكلّف وتعسّف ، فـأقول : مـاذا يعشك يا حمامـــة فـــادرجي ، فقد جعلت القلم واللســان أوسـي وخـزرجي ، وعلمت أنه مع كل بـانٍ هـادم ، ومن راقب الناس فهو النادم ، وقد عاب المخلوقُ الخالق فقال تعالى : (يسبني ابن آدم) .

وإذا أراد الله لعمل بشر أن ينتشر ، قيض الله له أهل خير وشر ، فصـاحب الخـير له نصـير ، وظهـير ، وخفـير ، ووزير .

وصاحب الشر سبّاب عيّاب ، له من الحسد ناب ، وله من العداوة مخلاب .

وانظر إلى المعصوم ، كيف ابتلي بالخصوم ، شق الله له القمر ، فقـالوا هـذا سـحر مسـتمر ، ولما جمع قريشـاً وخطبها ، قالوا أساطير الأولين اكتتبها .

وأســأل الله أن يجعل هــذه المقامــات ، بكل فضل ملمّـــــات ، وأن يجعلها بالحسن رائعة ، وبالفضل ذائعة ، وبــالبر شــائعة ، وبــالأنس ماتعة ، وبــالنور ســاطعة ، وبالجمال لامعة ، ولكل خير جامعة ، وعن كل سـوء مانعة ، وللجدل قاطعة .

محلاة بالفوائد ، مزينة بالقلائد ، متوّجة بالفرائد ، مزدانة بالشــوارد ، كالمــاء الــزلال لكل صــادر ووارد ، تضمرها العقائد ، وتنشـرها القصـائد ، وصـلى الله وسـلم على صـفوة الحواضر والبـوادي ، الـذي تشـرفت بـذكره النوادي ، فهو الهـادي ، وإلى كل فضل منـادي ، وعلى آله البررة ، والأربعة الخيرة ، وبقية العشرة ، وأهل الشجرة .

بين يــدي المقـامَــات

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾

إلهي : أسألك بالاسم الأعظم ، والوصف الأكرم ، أن تنير لي الطريق المظلم . أسألك نعمة تدفع بها نقمة ، وعلماً تؤيده رحمة ، وموهبة تقيدها حكمة ، وأملاً يدفع اليأس ، ورعاية ترد البأس ، اللهم ارحم العَبْرة ، وأقلِ العثرة ، وأزل الحسرة ، واكشف عنا حجب الضلالة ، وسحب الجهالة ، حتى نبصر آيات عظمتك بعيون اليقين ، ونقرأ أسطر صنعك ببصائر الموحدين ، اللهم أيدنا بعز سلطانك ، وأكرمنا بفهم برهانك ، أعوذ بك من زلّة ، توجب ذِلّة ، وعثرة قدم ، توجب الندم ، ونسألك إخلاص النية ، وكرم الطوية ، وندعوك بلسان الاضطرار ، أن تفتح لحكمتك منا الأسماع والأبصار ، وأن تنير بوحيك مظلم الأفكار ، وما اسود من الأسرار .

وبعـد : فقد سبقني إلى هذا الفن أعلام ، لهم في الحكمة أقدام ، وفي حومة البيان أعلام ، وفي طروس الفصاحة أقلام . فمنهم من خص بمقاماته الأدب ، وثانٍ في ذكر من ذهب ، وثالثٌ في الحب ، ورابعٌ في الطب .

أما أنا فأطلقت للقلم زمامه ، وسَرَّحت خطامه ، وأزحت لثامه ، ليكتب في فنون ، ويسيل في شجون ، ذاكراً من سلف ومن خلف ، آخذاً من كل حكمة بطرف ، وربما لمحت في المقال ، بعض الخيال ، فلا تُبدِ لنا قسوة ، فلي في ذلك أسوة ، فإن الأمم استنطقت الجمادات ، واستفهمت العجماوات ، وقوّلت الكلامَ الحيوانات ، وكلّمت الأطلال ، ونسبت الحديث إلى الشجر والتلال ، تعريضاً وتلميحا، ونسبة وتصريحا .

وللعجم من ذلك ما يبهر ، ككتب بزجر جمهر ، وللروم في ذلك تآليف ، وللهنود في هذا الفن تصانيف ، ورأيت كتب اليونان ، وصاحب الإيوان ، والمانوية من أسلاف اليابان ، كلها تنسب القول للحيوان ، وتضيف وتنقل الخطاب بغير الإنسان ، حُبّاً للسلامة ، وخوفاً من الندامة .

ثم جاء العرب ، روّاد الأدب ، فأطربونا بكلام الحمام ، في الحب والغرام ، ونقلوا في الأمالي ، عتاب الطلل البالي ، وأتحفونا بحِوار الأطيار ، وإظهار أسرار الديار ، حتى أسندوا الأخبار للأشجار .

فيا صاحب الدراية ، إن رأيت في هذه المقامات رواية ، فقد قصدت النفع ، ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل ، وقد أحلتك على ما سلف ، ومن أحيل على مليء فليحتل.

وقد جانبت في هذه المقامات التجريح ، سواءً بالتلميح أو بالتصريح ، ودبجتها بالثناء والمديح ، لأن القول اللين ، والخلق الهين ، يجلب الود ، ويزيل الصد ، وكسر القلوب غلط ، وجرح المخاطَب شطط ، فهنا ملاينة لا مداهنة ، وليس الخبر كالمعاينة ، ومداراة لا مجاراة ، ولي في هذه المقامات رسائل ، ومن العلم مسائل .

وفيها عبر وسير ، وأشعار وأخبار ، وشجون وفنون ، وفكاهات وملاطفات ، ومشجيات ومبكيات ، ومحفوظات وعظات ، فلا تحكم بمقامة على كل المقامات ، بل طالع الجميع ليكون حكمك موات ، فإن الروض ألوان ، والشجر صنوان وغير صنوان ، والتنويع مدعاة لإثارة الذهن البارد ، ولن نصبر على طعام واحد .

وقد جــانبت فيها الهمز ، والغمز واللمز ، فلا مصلحة لنا في التعرض للأشخاص والأجناس ، أو تتبع عــثرات النــاس ، بل نحن أحــوج إلى جــبر القلوب ، ودفن العيوب ، لأن مرد الكل إلى علام الغيـــوب . ومن وجد نقصـــاً فليعف عنا ، ومن غشنا فليس منا .

خـــذها من القلب لو

ثيابه بسـناها المشـرق

لصــــار نــــوراً كـــأن

والبـــــدر وَمْضـــــته في

وقد قرأت هذه المقامات علي علماء وأدباء ، وشعراء وفضلاء ، طلباً للاستفادة ، وحرصاً على الزيادة ، وقد استفدت من كل جمع ضم مجلسنا ، وشاورت كل صاحبٍ كان يؤنسنا ، لأن مشاورة الأخيار ، تلقيح للأفكار ، وفي يوم الثلاثاء 21/5/1420هـ اجتمعنا بشيخنا العلامة الفطين ، صاحب الدر الثمين ، محمد الصالح بن عثيمين ، **وكان اللقاء في الرياض ، والأنس قد فاض ، فقرأت عليه مقدمة المقامات ، فاستحسن ما أوردته من كلمات ، ثم قرأت عليه المقامة النحوية ، وبها لطائف نديّة ، فأضاف بعض الإضافات ، وأتحفنا ببيت من المحفوظات . نقلته في تلك المقامة ، من ذلك العلامة . وعسى ربي أن ينفعني بما كتبت ، وأن يحقق لي ما أمّلت ، من الفوز برضوانه ، وسكنى جنانه ، فقد اتصف بالعفو وكتبه ، ورحمته سبقت غضبه :**

ولو سُـــــفكت منا لطِرنا مع الأشـواق